## شـــهـــادات

لكي نلخّص الكتاب بجملة واحدة، نقول ما قيل سابقاً: «يطلقون النار ويبكون». هذه الجملة هي الجو العام الذي يسيطر على الكتاب من أوله الى آخره، اضافة الى شعور بالذنب يطغى على الجنود ومن قام باعداد الكتاب. وما عدا ذلك، لا يجد القارىء سوى شهادات لشخصيات معظمها يميني ينحو، في أحيان، منحى انسانياً مفتعلاً يدعو الى الرثاء.

«يطلقون النار ويبكون» هو احد الاسئلة التي طرحتها المحرّرة ايلانه همرمان على رولي روزين. ونعتقد بأن طرح السؤال كان لتدارك، وتلافي، السؤال الاكبر: ما هي أهمية هذا الكتاب في وضع فاشي؟ سألت همرمان: «ألا تخشين» ان يكون هذا الكتاب «حديث غزاة» آخر، كتاب آخر لـ «يطلقون النار ويبكون؟»، لأن هذا الكتاب، على الرغم من كل شيء، يجعلنا اخلاقيين بما فيه الكفاية. حتى ان «الطغاة لديهم لحظات من الحساسية الاخلاقية. انهم يستطيعون التمييز، ولديهم حدود» (ص ١٥٨). هذا السؤال، الذي قد يكون مفتاحاً ومبرّراً لاصدار الكتاب، هو الذي يخيّم على اجوائه. جنود يمارسون أبشع انواع التعذيب والاذلال والضرب والاهـانـة والقتل؛ ثمّ تجدهم، في لحظات معيّنة، يبدون انسانيين وبحاجة الى الرحمة والشفقة. لقد أثبتت الريبورتاجات (عدا قلّة قليلة جداً) انها غير قادرة على نقل الأزمة حتى النهاية؛ بحيث بدت ان القضية ليست واضحة الى درجة عالية حتى يراها الواحد كما هي. لذا تشعر وأنت تقرأ هذا الكتاب انه ممل (بدلاً من ان تُصْدَم)، وفي احسن الاحوال عادي، فهو يطرح أزمة الذي يمارس الاحتلال من ناحيـة نفسيـة، ثمّ يعـود ليبـرّرها على مستوى آخر. لعبة تستمر على نحو يدعو الى الغضب. أمّا غروسمان، فقد استطاع مجابهة نفسه والواقع، وهذا هو سر نجاحه.

أجابت رولي روزين عن سؤال المحرّرة ايلانه همرمان بما يلي: «نطلق النار ونبكي. أجل، نحن نطلق النار، نحن كلنا، لأننا جزء من هذا المجتمع، ونحن نعيش ونشتغل فيه، ونحن، في نهاية الامر، جزء من الجهاز الذي ينفّذ ما يجري هناك أيضاً. لذا، كلنا نطلق النار ـ حسب هذا المفهوم ـ وبعد ذلك نبكي أيضاً. مثلاً، يكتبون كتباً كهذه، ويفتخرون بها، يقولون: ' كم هو رائع اننا نستطيع ان نكتب أشياء كهذه، كم هو ساحر اننا نبكي أيضاً. اذن، لا؛ انا لست شريكة في هذا الحماس؛ انا لا اعتقد بأن ذلك رائع، بل على العكس' » (ص ١٥٢).

افتتح الكتاب بوثيقة حول ضرورة اخماد الانتفاضة واشتراك الجيش الاسرائيلي بذلك، لتهدئة الجو في المنـاطق المحتلة؛ لنلتقي، بعـدهـا، بشهادات جنود ذهبوا الى المناطق المحتلة ليخمدوا لهيب الانتفاضة بحماس. لكن أزمة ضميرية أصابت بعضاً منهم، وآخرون ازدادوا اضطراباً، أو تردّداً، أو ازدادوا شراسة. فنلتقي مع الجندي الأول الذي يحدثنا عن الصدامات التي تقع هناك، وما يلاقيه الجنود من أعمال مقاومة من الفلسطينيين. ونلتقي مع الجندي الثاني يوسي، اليميني المتطرّف، وكيف يتحوّل، تدريجياً، الى يوسي آخر، خاصة بعد ان يرى ما يجرى في أنصار وسجون الاحتلال: «لقد شعرت كأنني جندي نازي. تماماً كجندي نازي شعرت هناك. انا متأسف جداً لقولي هذا. لكن هذا هو ما كان شعوري. لأن تكون مع سلاح على العنق، يد على الزناد، والشروع بالقول للعرب: ابدأوا بالتحرّك، قف هنا، اقعد هنا، افعل هكذا وافعل هكذا. لم أجنّد للجيش لهذا الامر. لقد جُنّدت للمحاربة والدفاع عن الدولة، وليس لحراسة المناطق» (ص ٣٤).

ويـوسي، قبـل الذهاب الى المناطق المحتلة، كان يؤيد حكومة الليكود. لكنه، بعد المشاركة في محاولة قمع الانتفاضة، اخذ يطالب بأن يعرض على شاشة التلفزيون ما يجرى في المناطق المحتلة، «لأننا لا نرى الّا القليل جداً، حسب أقواله». ويرى بحكومة الليكود كارثة. ويفكر بالهجرة من البلاد: «ولم أصدق انني سأصل الى حالة كهذه. انني، ذات يوم، سأكره بزّتي. باختصار لم اصدق. اليوم لا أرى نفسي منتمياً الى هنا، منتمياً الى البلاد. لا أريد البقاء هنا. باختصار لا أريد البقاء هنا» (ص ٣٥).